

التنمية ومظاهر التغير في المجتمعات الريفية

أ/العقاب خليل

جامعة الجلفة

ملخص:

يعتبر التنوع والتنمية في المجال الريفي إشكالية والتي تتطلب من جميع أفراد المجتمع المشاركة من أجل إنجاز عملية التنمية وذلك بالإلمام بجميع المجالات منها الفلاحية والاقتصادية والاجتماعية و الثقافية من منظور تنمية ريفية شاملة، تعرف على أساس أنها التنمية التي بموجبها يملك المجتمع الريفي الوسائل اللازمة لتحقيق الازدهار والرفاه ويحسن مستوى معيشته اجتماعيا واقتصاديا، فاجتماعيا تكون عبر النشاطات والعمليات التي من شأنها تحقيق التطور الاجتماعي على جميع الأصعدة، خاصة ما تعلق منها بالتجهيزات (السكن، تهيئة الطرق، المدارس،...) واقتصاديا عن طريق التنمية الفلاحية في المناطق ذات المؤهلات الفلاحية، وذلك بتطوير وسائل الإنتاج والمساعدة الفلاحية وترشيدهم قصد رفع مستوى الإنتاج وتحسين الأداء، وتطوير النشاطات غير الفلاحية وخلق مصادر جديدة ، كالصناعات التقليدية والحرفية في المناطق التي تقل بها المؤهلات الفلاحية، وبالتالي تضمن هذه التنمية مراعاة خصوصية لكل مجال ريفي.

كلمات مفتاحية: التنمية، مظاهر التغير، المجتمعات الريفية

Summary:

The rural diversity is considered as a problematic to develop this field . We have to combine the efforts for being one of the important in society , agriculture , economic , social and cultural from all of this we give a simple definition of rural evolution.

It is the development which give us all the means of prosperity peacefulness and relaxing life.

The rural development related to social growth as : roads elaboration , management of housing “ housing estate” , schools however, the economical is based on the agriculture development specially in touristic places by helping the peasants, in case to grow up our production and supporting their activities to create new resources traditional activities in the places which have a agriculture qualifications.

We conclude that this development can give the particularity of the rural field

لإدراك وفهم الدور الذي تلعبه التنمية الريفية باعتبارها إرادة للتغيير الذي تسعى إليه الدول بهدف تحقيق تغيرات فكرية وسلوكية واجتماعية ومادية في المجتمعات النازحة نحو الريف، وكذا إتاحة الفرصة لأهالي المجتمعات الريفية والحضرية بالمشاركة في برامج التخطيط المسطرة من طرف الدولة، على تشجيع القطاع الزراعي و تقديم حياة أفضل للحد من بروز انعكاسات على المجال الحضري للمدينة وضواحيها، وهذا ما يدفعنا إلى طرح الإشكالية:

ما هي أهم انعكاسات ومظاهر التحول والتغير التي عرفتتها المجتمعات الريفية في إطار إستراتيجية التنمية الريفية ؟

وعلى ضوء ما سبق يمكن القول بأن موضوع هذه المداخلة قد يخوض في النقاط التالية:

المحور الأول : الإطار المفاهيمي للتنمية الريفية

المحور الثاني : مظاهر التحول والتغير في الوسط الريفي

أولاً: الإطار المفاهيمي للتنمية الريفية:**1- التنمية الريفية**

يعد مصطلح التنمية من أهم القضايا التي يناقشها العلم المعاصر وهو موضع اهتمام في كل المجتمعات، ومفهوم التنمية الريفية لا يختلف كثيرا عن المفهوم العام للتنمية ، وذلك أن التنمية الريفية لا تتم بمعزل عن استراتيجية التنمية بوجه عام التي تحدد داخل المجتمع ككل، ولكن التنمية كما يراه البعض ليست تجهيز منطقة أو إقليم بالمصانع و الهياكل القاعدية ، وتزويده بالجرارات وحفر الآبار وإقامة المدارس وشق الطرق، فهذا العمل يمثل مظاهر التنمية، إذ أن التنمية الحقيقية توجد في عقول البشر الذين ينتظمون لغرض تحقيقها. يمكن تطبيق هذه الرؤية في الميدان الريفي في المعمورة كلها كما في الجزائر.¹

ولذلك ليست التنمية مجرد إدخال المتغيرات، وإنما هي إرادة التغير التي يسعى إليها المجتمع ككل للانتقال من وضع إلى وضع أفضل. ولا يتم هذا إلا عن طريق تنمية واعية ومدرسة وقائمة على التخطيط. ولذلك فالتنمية الريفية في مفهومها الأوسع هي تغير اجتماعي مخطط وموجه نحو الوصول لأفضل استثمار لموارد المجتمع بهدف رفع مستوى المعيشة المادية لأبنائه وتحسين نوعية حياتهم اجتماعيا وصحيا وثقافيا وعمرانيا، لذلك فقد عرف البنك الدولي التنمية الريفية " بأنها استراتيجية منظمة تهدف إلى تطوير الحياة الاجتماعية لمجموعة من الناس هم فقراء الريف" ² ، فالتنمية الريفية حسب هذا التعريف تستهدف أساسا الحد من الفقر في المناطق الريفية كما يعرفها البعض على أنها " استراتيجية للتغلب على الفقر وتحقيق مستوى أفضل في المناطق الريفية ³

ترتبط التنمية الريفية إذن بالتغير الاجتماعي في المجتمع الريفي إذ تؤثر التنمية في التغير وتتأثر به، فالتغير الاجتماعي له عدة أوجه وأشكال فقد يكون تكنولوجيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ولذلك فالتنمية الريفية يمكن أن تحدث أو تقود إلى تغير اجتماعي، ولكن في نفس الوقت لا يقود التغير في جميع الأحوال إلى تنمية، فالتغير قد يكون نحو الأحسن أو يكون نحو السيء (تخلف)

ولكي تتجح التنمية الريفية لابد لها من إدارة تعمل على تكاملها وتوازنها في إطار التنمية الوطني، فالتوسع النطاق الجغرافي للريف الجزائري وتفاوت خصائصه البيئية والثقافية والاجتماعية يتطلب تنسيقا بين الأجهزة والإدارات المعنية بالتنمية على كافة المستويات الوطنية والإقليمية والمحلية

ويقصد أيضا بان التنمية الريفية هي مجموعة السياسات والبرامج التي تتم وفق توجهات عامة لإحداث تغير مقصود ومرغوب فيه في المجتمعات المحلية بهدف رفع مستوى المعيشة في تلك المجتمعات وذلك بتحسين نظام توزيع الدخل⁴

حيث يتم عن طريق التنمية الريفية تحسين الظروف العامة في المجتمع الريفي بما في ذلك الاقتصادية والاعتبارات المتعلقة بجودة الحياة مثل البيئة والصحة والبنية التحتية والإسكان لمعظم المجتمعات الصغيرة وهذا التحسن يشمل السكان ونمو العمالة⁵

حيث غالبا ما تعاني المناطق الريفية من قصور البنى التحتية كالطرق والكهرباء والتي تمثل الوسائل الرئيسية للاتصال بالمناطق الحضرية وما تولده من إمكانية توفير العناية الصحية والتعليم فضلا عن قدرتهم على الوصول إلى الأسواق.⁶

وقد مر تعريف التنمية الريفية بعدة مراحل وحقب فقد عرفت الاسكوا بأنها عملية تعبئة وتنظيم جهود أفراد المجتمع، وجماعته وتوجيهها للعمل المشترك مع الهيئات الحكومية لحل مشاكل المجتمع ورفع مستوى أبنائه من النواحي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ومقابلة احتياجاتهم بالانفتاح الكامل بكافة الموارد الطبيعية والبشرية والفنية والمالية المتاحة للمجتمع⁷، وقد تأثر مفهوم التنمية الريفية في المنطقة العربية بالتطور الحاصل في مفهوم التنمية والأجندة التنموية والمتفق عليها عالميا بداية بمفهوم " تنمية المجتمع " ثم مفهوم "التنمية الريفية المتكاملة" وحديثا تأثرت برامج التنمية الريفية بمفهوم " التنمية المستدامة" حيث تم إضافة البعد البيئي وضرورة الاهتمام بحماية الموارد الطبيعية واستدامة استخدامها، وتحقيق التنمية المستدامة يكون عن طريق التوسع في التجارة ومحاربة الفقر، وتغيير أنماط الاستهلاك، وحماية صحة الإنسان، والمحافظة على البيئة والموارد الطبيعية وحماية

الغابات من القطع ومكافحة التصحر، وتحقيق التنمية الزراعية والريفية المستدامة ونشر التعليم ورفع الوعي مع التركيز على التنمية البشرية باعتبارها أهم مقومات التحول نحو عالم امن ومتطور⁸

أما البنك الدولي فقد عرف التنمية الريفية "بأنها استراتيجية تهدف إلى تحسين الاقتصاد والحياة الاجتماعية لمجموعة معينة من الناس ، الفقراء في المناطق الريفية"، وهناك أربعة عوامل رئيسية أثرت على مفهوم التنمية الريفية وأحدثت تغيير هذا المفهوم وعي ، تزايد المخاوف بشأن استمرار وتعمق الفقر في المناطق الريفية، وتغيير وجهة النظر إلى مفهوم التنمية ذاتها، والاعتراف المتزايد لأهمية التنمية الريفية في الحد من الأبعاد غير الدخلية للفقر من اجل تحقيق تحسينات مستدامة في الرفاه الاجتماعي والاقتصادي للفقراء حيث أن إنشاء الأهداف الإنمائية للألفية قد عززت من المخاوف (الفقر غير الدخلي) ، كما أن ظهور الاقتصاد الأكثر تنوعا الذي فيه المشاريع الريفية غير الزراعية تلعب دورا متزايد الأهمية، حيث هناك ثمة أربعة محركات مهمة لها دور في تحفيز نمو الاقتصاد غير الزراعي في المناطق الريفية، القوة المحركة الأولى هي التحضر لا سيما نمو المراكز الصغيرة أو المتوسطة وزيادة التكامل بين الاقتصاديات الريفية والحضرية، وثانيا عمليات التحرير والعولمة التي يمكن أن تخلق فرصا جديدة للعمل والخدمات في المناطق الريفية، وثالثا تحسن نظم الاتصال والمعلومات لا سيما نشر التغطية الهاتفية المتنقلة في المناطق الريفية، وأخيرا زيادة الاستثمار في نظم الطاقة اللامركزية والمتجددة وقد توجد هذه المحركات وتجتمع معا بطرق شتى داخل البلدان وفيما بينها وتفتح بذلك فرصا مختلفة لتنمية الاقتصاد الريفي غير الزراعي

إن مفهوم التنمية الريفية اليوم يختلف اختلافا جذريا عن المفهوم المستخدم من ثلاثة او رابعة عقود مضت ويشمل هذا المفهوم الآن مخاوف من أن تتجاوز التحسينات في النمو والدخل والناتج اهتمامات تشتمل على تقييم التغيرات في نوعية الحياة الذي يعرف على نطاق واسع والتي تشمل التحسينات في مجال الصحة والتعليم وبيئيا ظروف العيش الأمن.

2- أهمية التنمية الريفية:

• **أولاً:** لا تزال التنمية الريفية تحتفظ بأهميتها لعدة أسباب، أولاً إن التاريخ لا يعيد نفسه دائماً، فالهجرة الضخمة للقوى العاملة الريفية الزائدة من أوروبا إلى نصف الكرة الغربي في القرن التاسع عشر، ثم من الأرياف إلى المدن كما حدث إبان فترة ما بعد الحرب في البلدان الصناعية أمر لا يمكن أن يتكرر على نطاق عالمي، وإن عصر التصنيع الواسع قد انتهى وقد دخلنا عصر انحسار الصناعة، وقليل ما تنشئ صناعات " التكنولوجية المتقدمة" فرص عمل جديدة بل أنها تركز على زيادة الإنتاجية، ومن ثما مآلنا ، إذا جاز التعبير هو البحث عن فرص جديدة للعمل في مواطنها الريفية في مجال الزراعة وخارجها.

حيث مازالت الزراعة تمثل في عام 2005 نحو 40% وفي شرق آسيا 49.5% وفي جنوب آسيا 61.2% وفي إفريقيا جنوبي الصحراء 63.6% ولا تبلغ هذه النسبة في أمريكا اللاتينية والكاريبي سوى 17% وقد تقلصت في الاقتصاديات المتقدمة والاتحاد الأوروبي لتبلغ 3.7% وتعليقا على هذه البيانات فإن الزراعة لا تزال تضم أعلى نسبة عمالة بين القطاعات الثلاثة _ الزراعة، الصناعة، الخدمات _ وبالنظر إلى أن الغالبية العظمى من فقراء العالم يعيشون في آسيا وإفريقيا فإن معالجة الفقر تعني العمل على أن توفر أعمال القطاع الزراعي أسباب العيش الملائمة بالإضافة إلى ذلك أن العاملين ينزعون إلى الانتقال مباشرة من الزراعة إلى الخدمات أكثر من الصناعات، في معظم الأحيان تكون أعمالاً ضعيفة الأجور وغير ثابتة سيئة تتدرج في إطار " الاقتصاد غير الرسمي" ومن هنا ضرورة النظر في توفير فرص العمل غير الزراعي في الريف.

• **ثانياً:** لا تزال هناك إمكانية لدورة جديدة من التنمية الريفية، فمن الضروري إنتاج المزيد من الغذاء لتأمين الالتزام الكوني بالحق في الغذاء، وبالإمكان استخراج طائفة واسعة الخيرات من اليابسة والغابات والكتلة الحيوية المستخلصة من المياه: الأغذية والأعلاف والأسمدة الخضراء و الوقود الحيوي والمواد الأولية والألياف واللدائن ومواد البناء والمستحضرات الدوائية ومن شأن أسواق الوقود

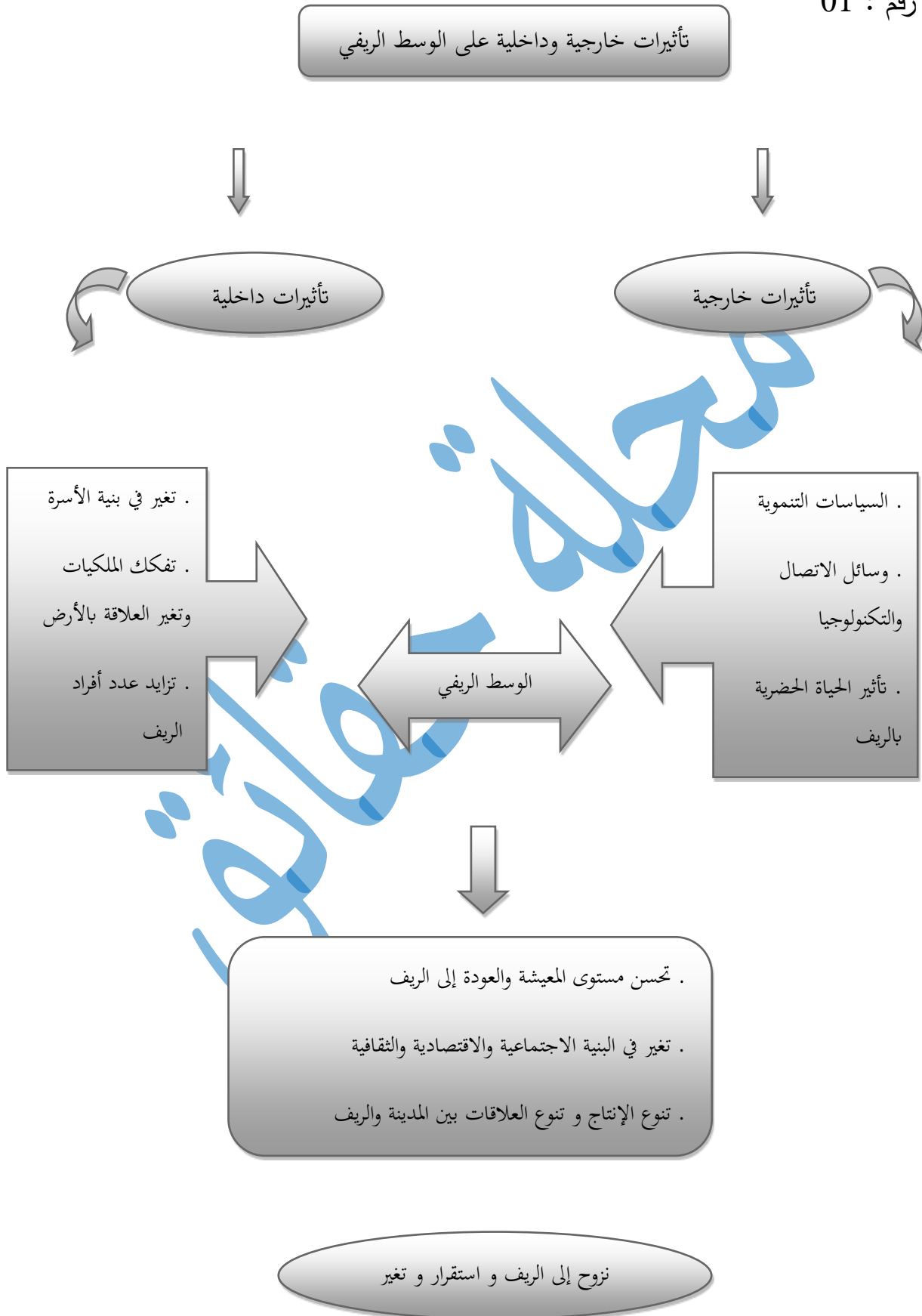
الناشئة أن تسهم إسهاما دائما في تخفيف تغير المناخ، غير أن هذه العلاقة ليست بسيطة بأي حال نظرا لما يتضح حتى الآن من أن إنتاج الحطب والفحم يزيد من إزالة الغابات وينبغي منع الاستخدام الاستغلالي للغابات الطبيعية، حيث يتمثل التحدي في جعل التنمية الريفية شاملة اجتماعيا ومستدامة بيئيا ، وذلك عن طريق النهوض بالمشروعات الزراعية الفلاحية الصغيرة وتحديثها على نحو ملائم، مع جلب بعض مزايا الحياة الحضرية إلى الريف بدء بالشبكات العامة للخدمات الاجتماعية والتعليمية والصحية.⁹

•ثالثا " أن التنمية الريفية لها تأثير مضاعف على الاقتصاد كافة حيث يولد كل دولار من القيمة المضافة في الزراعة ما يتراوح بين 30 و80 سنتا" في الجولة الثانية من الدخل في القطاعات الأخرى من الاقتصاد.

ثانيا: مظاهر التغير في الوسط الريفي

عرفت المجتمعات الريفية في الآونة الأخيرة عدة تحولات وتغيرات على عدة مستويات، حيث آثرت عليها بشكل بطئ خصوصا بعد استقرار الأمن وزيادة التطور في وسائل الإعلام والتكنولوجيا وكذلك بفعل السياسات التي رسمتها الدولة لإعطاء حياة جديدة لسكان الريف، ولتوضيح ذلك يمكن عرض هذا الشكل المبسط الذي يبين العلاقة بين البرامج التنموية وعوامل التغير الأخرى مع الوسط الريفي:

الشكل رقم : 01



1- التغير في العادات والثقافة المادية:

التغير في الثقافة المادية من حيث انه تغير في نواحي يمكن ملاحظتها بسهولة فانه من هذه الزاوية يعتبر أكثر التغيرات التي حدثت في الريف وضوحاً، وفي نفس الوقت يصور زيادة صلة الأرياف بالعالم الخارجي، ويعكس كذلك تأثيرات المدينة المتزايدة ولذلك كان دور العوامل الخارجية فيه أكثر أهمية من أي عوامل أخرى، حقيقة انه لا يمكننا فصل عوامل التغير بعضها عن الآخر فهي مرتبطة، وقد يحدث أن تكون تأثيراتها كل على حدة لا يمكن أن نفصل بينهما، ولهذا فان تأثير المدينة والانتشار الثقافي منها إلى الأرياف حدث في نفس الوقت الذي كانت فيه العوامل الداخلية التي ذكرناها تؤثر في العائلة وفي الحياة الاقتصادية، فكان تأثير العوامل الداخلية والخارجية على حد سواء، ولكن تأثير المدينة في حالة الثقافة ينبغي النظر إليها بشيء من الاهتمام لان كل تغير يحدث في مكونات هذه الثقافة لا يأتي من الداخل وإنما يأتي منقولا أو منتشرا من الخارج، ويتوقف قبول أهل الريف لهذه المظاهر على عدة عوامل منها اتجاهات التغير الداخلية ومدى سرعتها لأنها مهمة في درجة قبول الريفيين لطريقة حياة سكان المدينة.

الملاحظ اليوم في الريف في ميدان بحثنا أن القديم يعيش جنباً إلى جنب مع الجديد مع تفوق واضح لهذا الأخير: ولكن دون أن يحدث اختلال أو عدم توازن. ولهذا لا نجد أسرة تغيرت ثقافتها المادية كلية، بل لا تزال هناك كثير من مكوناتها القديمة. ولهذا تكيف الأسر اليوم الأوضاع القديمة وقد تتخلى عنها لتتاسب الأوضاع الجديدة.

- تغير القيم في الريف:

تؤدي كثافة العلاقات الاجتماعية الداخلية والخارجية الناتجة أساساً عنه عوامل التغير الاجتماعي إلى تغير ملحوظ في القيم الريفية والنظرة إلى الحياة، والواقع أن القيم في كل مراحل التغير مرتبطة ارتباطاً وظيفياً بالأنساق الاجتماعية الأخرى، ولذلك فكل تغير في هذه الأنساق يؤدي على تغير

مصاحب في القيم، فالقيم في جوهرها " عبارة عن الأيديولوجيا التي تصور الاتجاهات الرئيسية التي تتبعث عن استقرار النظام وتوازنه وهي التي تحدد الأبعاد المرئية في العلاقات الاجتماعية.¹⁰

كما أن النظرة إلى الحياة ترتبط ارتباطا وثيقا بكثافة العلاقات ، فان تغير حجم هذه العلاقات تغير النظرة ومعها القيم، ولهذا كانت عوامل التغير الاجتماعي في المجتمع الريفي هي النتائج التي ترتب عليها حدوث التغير في مجموع القيم وفي النظرة إلى الحياة، حيث أدركنا عن طريق الملاحظة المباشرة و الملاحظة بالمشاركة انه ليس هناك اختلافات ملحوظ بين أهل الريف عامة في هذا الصدد، ولكن ما استطعنا أن نميزه أن عملية التغير وتأثيراتها على مجمع الريفيين لا تسير بخطى متوازنة او بصورة مشابهة وهذا نتيجة لاختلاف ظروف الريفيين أنفسهم، فمنهم من ازدادت حجم علاقاته الداخلية والخارجية، ومنهم من زادت من ناحية واحدة من هذه العلاقات ، ومنهم من زال يحتفظ بملكية لا باس بها ومن أصبح عديم الملكية كما انه منهم من يعلم أبناءه ومنهم من لا يعلمهم، ومهما يكن أمر هذا الاختلاف فانه من الممكن أن نعتبر أن مجموع القيم الجديدة تعيش جنبا إلى جنب مع مجموع القيم القديمة، وتختلط النظرة القديمة للحياة بالنظرة الجديدة، فالأرض لا تزال تمثل المثل الأعلى للملكية وترتبط قيمة الريفي من حيث مركزه الاجتماعي والاقتصادي بها، ومع أن عدد سكان الريف أصبح لا يملك أرضا إلا وأنهم مع ذلك يفضلون الارتباط بها على أي نحو، كان يؤجرها ليعمل فيها، كما ثبت أنا بالملاحظة أن الرغبة الولي للريفي هي أن يملك أرضا أكثر، وان يملك أرضا إذا لا يملك شيئا.

ويبدو هذا الوضع مشابها للوضع الذي وجده الانتشولوجي (روبرت ريدفيلد) في المناطق الريفية التي درسها بالمكسيك، حيث يؤكد على هناك من يريد أن يكون ريفيا ومن يريد الهروب من الحياة و لهذا لا المس في هذه المناطق جريا ورائها أو هربا منها ¹¹ ، ولذلك فالجري وراء الأرض حقيقة موجودة في الريف، ولكن الهرب منها فغير موجود في الحقيقة ونما هناك مغادرة للريف والذهاب للعمل في المدينة لكن دون أي قطع الصلة بالأرض.

كما وقفنا في الريف البحث عن فئة من السكان وهم فئة المهاجرين إلى فرنسا الذين بدأوا يعودون إلى منطقتهم الريفية بعد أن بلغوا سن التقاعد، حيث تمكن هؤلاء من تجميع فائض من المال اتجهوا في استخدامه إلى العمل الزراعي، عن طريق تمكين أبنائهم من وسائل وأدوات فلاحية عصرية وتشجيعهم لهم بخدمة الأرض، فقد صرح أنا احد هؤلاء بان الأرض: هي الأصل، فالأرض ما زالت تعني لديهم الاستقرار والأمن، أما القداسة المرتبطة بالأرض فقد تغيرت النظرة إليها ومصدر ذلك أن عدد من المبحوثين من الذين فقدوا ملكية الأرض فقد صرحوا بعدم إحساس بقداسة الأرض ...

فقد ترتب على كثافة العلاقات الداخلية والخارجية بفعل عوامل التغير أن ظهر هناك اتجاه للمعاملات التجارية مع السوق ومع المدينة ومع الريفيين بعضهم مع بعض كما لاحظنا أن هناك نفور وعزوف من بعض الفئات خصوصا من الشباب عن العمل الزراعي لما يتطلبه من مشقة ودخل محدود ومؤجل أي حتى نهاية كل موسم زراعي رغم أن البعض منهم لم يهجر مهنة الزراعة وإنما اتخذوا منها مهنة إضافية إلى جانب العمل إلى بعض المهن غير الزراعية ولذلك فإن نظرة الاحتقار للعمل غير الزراعي في الريف التي كانت سائدة في الماضي أخذت في الزوال هذه الأيام

2- تأثير المدينة والتغير في الأدوات والمسكن:

نلاحظ في منطقة البحث انه لا تزال هناك نسبة قليلة جدا الموجودة على النمط القديم وهي تظهر في نواحي مختلفة، ولكن وظيفة المسكن لم تتغير فلا يزال مكان لإيواء مكونات الأسرة المادية من البشر والحيوانات والأدوات والمحاصيل، ونتيجة لانفصال الأسر واستقلالها عن العائلة القديمة حدث تغير في حجم المسكن فهو يميل إلى الصغر، وقد انقسمت كثير من مساكن العائلات إلى عدة مساكن تستقل لكل منها أسرة واحدة، كما انه نتيجة لزيادة السكان زيادة ملحوظة لم تعد هناك قاعدة في بناء المساكن من حيث الموقع وذلك بأخذ اعتبارات معينة كالقرب من العشيرة والأرض الزراعية، فالمساكن اليوم تقع على مسافات مختلفة من المنطقة، كما أن مساكن العائلات المنتمية إلى عشيرة واحدة كانت جميعا في منطقة واحدة قد تغيرت القاعدة الآن، فهناك أعداد متزايدة من مساكن العائلات

المختلفة الانتماء توجد في جهات متعددة من المنطقة، وذلك لعدة أسباب من بينها أن الريفي يبني مسكنه بجانب الطرق الرئيسية لتسهيل عملية التنقل، ومنها أيضا أن الزواج الخارجي جعل عدد من الأزواج يسكنون في المنطقة التي تنتمي إليها الزوجة إن كانت من عشيرة إلى أخرى يستخدم أهل الريف اليوم في بناء مساكنهم على مواد يستخدمونها في المناطق الحضرية القريبة، فلم تعد البيئة المحلية تفي بالأغراض المطلوبة في المسكن واهم ما يستخدمونه من المواد نذكر الأخشاب بمختلف أنواعها والقضبان الحديدية والبلاط والاسمنت والياجور والنوافذ والأبواب والطلاء وتختلف الحاجة لهذه المواد باختلاف نوع المسكن ونلاحظ أن هناك مبنى من المنازل التي تبنى حاليا مساكن الأسر الفقيرة وهي التي لا تختلف كثيرا عن المساكن القديمة خصوصا من حيث المواد التي تدخل في استخدامها كالأشجار والطوب المخلوط بالتبن ومساكن من يملكون أرضا أي الأسر الميسورة أي من مازالت الأرض تكفي حاجات أسرهم ا وان بعض أعضاء الأسر يقومون بأعمال غير الأعمال الزراعية فكلما زاد فائض الملكية مالت الأسرة إلى بناء المسكن بالمواد العصرية .

وقد لاحظنا في السنوات الأخيرة أن بعض سكان منطقة الجلفة ممن حققوا أرباح تجارية أو من بعض المهاجرين المتقاعدين يبنون مساكنهم الجديدة وهي لا تختلف شيء عن مساكن المدينة وظل التنظيم الداخلي في مساكن الأسر الفقيرة على ما كان عليه ولكن الاختلاف يظهر في المساكن التي تنشئ حديثا حيث يبدو هناك فصل تام بين حظائر الحيوانات والجزء المخصص لأعضاء الأسرة كما أن هناك عزل للمناطق التي تم فيها تخزين المحصول وكقاعدة يمكن القول أن شكل المنزل وحجمه وطريقة بنائه وتنظيمه الداخلي كل هذا يرتبط بمركز الأسرة الاقتصادي فتزداد المظاهر الجديدة كلما زاد الدخل وتقل كلما قل/ أمّا أثاث المنزل فانه يميل إلى التنوع والتعقيد في اغلب المساكن حتى بالنسبة للأسر الفقيرة ولكنه يختلف من حيث الكم والكيف باختلاف المركز الاقتصادي.

والملاحظة بينت لنا مدى تأثير الريف بالمدينة من حيث مكونات الثقافة المادية من ناحية الأثاث والإضاءة وأدوات الطعام ومدى ارتباط هذه الأشياء بمركز الأسرة الاقتصادي، ولكنه من ناحية أخرى

يرتبط بالمركز الاجتماعي أيضا فكلما زادت هذه الأشياء عن الأسر كلما كان لديها القدرة على الظهور في المنطقة في المناسبات المختلفة بمظهر أكثر تحضرا وذلك أن التشبه بسكان المدينة أصبح حالان في الأرياف أمرا يحاول بلوغه كل ريفي ما سمحت أحواله الاقتصادية بذلك، والدليل على أهمية التنوع هذه الأدوات الاجتماعية أن جزءا كبيرا لا يستخدم في الاستعمال اليومي بل يظل محافظا عليه لاستعماله في المناسبات أو عند إظهار الكرم والضيافة في وجود غرباء كما يلاحظ أن هناك فروق واضحة بين أهل الريف من الأسر غير المشغلة بالزراعة والأسر التي تعمل بها من حيث استعمال هذه الأدوات فبالرغم من تشابهها من حيث الكم عند كل مهن مالا إن الفئة الأولى تستعملها أكثر لا تقتصر على المناسبات أو عند استقبال الغرباء وكقاعدة يمكن القول أن الريفى المشتغل بالزراعة يميل إلى استخدام الأدوات التقليدية أكثر من استخدام الأدوات الجديدة.

الطعام في الريف ما زال مرتبط بفكرة البطن خصوصا عند الأسر الفقيرة فإنها لم تتغير كثيرا لهم إلا في إدخال بعض الخضروات التي لم تكن معروفة من قبل، أي التي لم تكن تزرع بالمنطقة كالبطاطم والبطاطا و الفاصوليا... كما أن ظاهرة شرب القهوة منتشرة جدا بين أهل الريف على اختلاف مستوياتهم الاقتصادية وقد كانوا يتناولونها في منازلهم.

يرتبط التنوع في الملابس وازدياد العناية الشخصية والزينة بالمركز الاجتماعي والثقافي للشخص، ويتحدد اعتناء الريفى بملابسه بمدى ارتباطه بالمدينة، ولكن ما تم ملاحظته أن الأسر بمختلف مستوياتها تسمح خصوصا لأبنائها بارتداء الملابس الغالية والحديثة، ولا نكاد أن نلمس أن هناك فروقا بين شباب المدينة من ناحية الملبس مع أهل الريف في أوقات العمل لا يتمايزون كثيرا من حيث الملابس والاعتناء بالمظهر حتى انه لا يمكن التعريف بين من ينتمون إلى أسر غنية أو متوسطة، ولا يظهر التمايز واضحا إلا في المناسبات المختلفة كالأعياد والحفلات أو عند زيارة ريف آخر أو عند الذهاب إلى المدينة، يمكن القول أن الريفى الذي يعمل بالزراعة يميل إلى البساطة في ملبسه واعتنائه بمظهره وهو يعتقد أن العمل الزراعي يتطلب منه هذه البساطة، وبما أن ظاهرة التخصص كما اشرنا سابقا.

أصبحت بالإمكان ملاحظتنا ولهذا فإن التمايز بين العاملين في الزراعة وبين العاملين في أنواع مختلفة من المهن الأخرى فالريفي الذي يعمل بنفسه في الزراعة قليل الاهتمام بالشخصية والزينة أما أصحاب المهن الأخرى فإنه يميلون إلى الاعتناء بمظهرهم وارتداء الملابس الحديثة خصوصا إذا كان اتصالهم بالمدينة كثيفا، أما النساء فإن هن يميلن إلى تقليد أزياء المدينة والاعتناء بالمظهر الخارجي ولبس الملابس العصرية.

ويبدو تأثير المدينة واضحا فيما يتعلق ببعض الجوانب الفنية المختلفة والتغير كان على حساب تناقض مظاهر الفنون الريفية البسيطة وازدياد مظاهر الفنون الحديثة، حتى أن الوحدة الثقافية بين المدينة من هذه الناحية يزداد تكاملا باستمرار وفي هذا الصدد يبدو تأثير الإذاعة والتلفزيون أكثر جلاء فقد زاد انتشارها عام بعد عام، فقد اقبل الريفيين أفراد وجماعات على سماع الأغاني وغيرها من المواد التي تقدمها الإذاعة بحكم أسبقيتها في المنطقة على التلفزيون الذي عرفته المنطقة بعد دخول الكهرباء إليها وكان من آثار ذلك على الموال والأغاني الشعبية التي بدأت تختفي شيء فشيئا لان محلها الأغاني والأفلام ويرددونها في المنازل والحقل بوما أن نسبة الذين يعرفون الكتابة والقراءة تزداد باستمرار فقد أصبح قراءة المجلات والصحف ظاهرة بارزة هذه الأخيرة يتم جلبها من المناطق الحضرية القريبة، كما أن الذين لا يعرفون القراءة والكتابة يسألون المتعلمين دوما عن كل شيء يتعلق بالمدينة والعالم الخارجي ومعرفة آخر الأخبار سواء المحلية أو الدولية وبجانب انتشار الإذاعة والتلفزيون والجرائد فقد انتشرت في العشرية الأخيرة الهواتف النقالة والهوائيات المقرة فوق المنازل فلا نكاد نحس أن هناك فرق بين المناطق الحضرية والريف في مدى الإقبال على هذه التكنولوجيات الحديثة.

3- التغير في أساليب العمل:

هناك تغير كبير طرأ على أدوات الزراعة رغم أن التغير في بعضها مجرد تعديل أو امتداد للقديم، فهي لا زالت تحتاج إلى مهارات خاصة في استخدامها ويمكن تقسيمها على حسب طريقة استخدامها ونوع المجهود المبذول في:

- أدوات المجهود البشري: لا زال الفأس أهم أداة عند أهل القرية لكونه يؤدي نفس الوظائف القديمة، كذلك بالنسبة لبعض الآلات الأخرى كالمنجل والمذراة.. كما أن موادهم لم تتغير ويلاحظ أن أدوات المجهود البشري تقل تدريجيا ويزداد الاعتماد اليوم في العمل الزراعي على الحيوان والآلات الحديثة.

- أدوات المجهود الحيواني: تبدوا خلال الفترة الحالية قليلة، تتوفر في المنطقة المضخات الكهربائية أو التي تعمل بالبنزين هذا بالنسبة لجلب المياه كما لم تعد تستعمل في عملية الدرس لأن آلات الحصاد أصبحت متوفرة في القرية.

- أدوات المجهود المشترك بين الإنسان والحيوان: لم تتغير بصفة كبيرة عما كانت عليه فنظرا لتفكك العائلة تناقصت الملكية للأسر ولذلك فإن الاتجاه الآن يميل إلى استخدام حيوان واحد بدل حيوانين أو أكثر.

- الآلات الحديثة: دخلت الآلات الحديثة للريف بصفة تدريجية وهي الآن متوفرة بصفة معتبرة. لقد أحصينا في المنطقة حوالي 3 آلات حصاد و18 جرار و26 مضخة تعمل بالكهرباء والبنزين، ونسجل إقبال السكان على اقتنائها واستعمال هذه الآلات رغم تكاليفها الباهظة.

- قائمة المراجع :

¹ MARC Cote., 1996, *Pays, paysages, paysans d'Algérie*, éd. CNRS, Paris, p 175.

² محمد علاء الدين ع القادر، 2003، علم الاجتماع الريفي المعاصر، منشأة المعارف، مصر، ص 54.

³ حسين احمد رشوان، 2005، علم الاجتماع الريفي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص 192.

⁴ محمد سالم طابع، 2007، أساليب و وسائل تحقيق التنمية الريفية، المشاركة الشعبية مدخلا، التنمية الريفية وسيلة الحكومات لتحقيق التنمية الشاملة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، جامعة الدول العربية، مصر، القاهرة، ص 4.

⁵ United states department of agriculture, 2006, rural development, p 01.

⁶ احمد فتحي عبد المجيد، 2003، أثر سياسات الاقتصاد الكلي على الفقر، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، لنيل درجة الدكتوراه في الاقتصاد، ص 03.

⁷ منال محمد نمر قشوع، 2009، استراتيجيات التنمية الريفية المتكاملة في الأراضي الفلسطينية، حالة دراسية لمنطقة الشعراوية محافظة طولكرم، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة النجاح، فلسطين، ص 24.

⁸ الاسكوا، المؤتمر الإقليمي حول تدهور الأراضي في المنطقة العربية، موجز تقرير حول التنمية الريفية في المنطقة العربي، القاهرة، ص 1.

⁹ اغانسي ساكس، 2009، فرص جديدة للتنمية الريفية المدفوعة باعتبارات المجتمعات المحلية، المؤتمر الدولي عن الإصلاح الزراعي والتنمية الريفية، منظمة الأغذية والزراعة، الفاو، ص 1-3.

¹⁰ محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 312.

¹¹ روبرت ردفيلد، المجتمع القروي وثقافته، ترجمة فاروق العادلي، ص 240.